

آثار صعوبات التعلم على الأسرة

مقدمة:

الأطفال من أهم مصادر الفرحة والسرور والأمل لوالديهم، فقد فطر الله قلوب الوالدين على محبتهم. فالأسرة تضع آمالا كبيرة عندما يولد لها ابن أو بنت وينمو ويكبر، دون أن يظهر عليه ما قد ينبئ بأن آلامهم فيه من أن يصبح معلماً أو مهندساً أو طبيباً أو رجل أعمال ناجح قد لا تتحقق. فعند سن دخول المدرسة توشك تلك الآمال أن تبدأ مسيرتها نحو مستقبل مشرق تتخطى فيه الأسرة تحديات التربية والمتابعة، لأن طلب العلم في العادة يسير بسهولة ويسر، فالعقبات التي تعترض طريقه تعتبر أمرًا عاديًا ومتوقعا تمر به كل أسرة. ولكن، سرعان ما تتغير تلك الفرحة وتتبدد تلك الآمال، عندما يمضي الوقت قدمًا ولا يسايره تقدم الطفل في الدراسة، وتبدأ ملاحظات المدرسة تصل إلى البيت واحدة تلو الأخرى تلوم الطفل على عدم أداء واجباته الصفية والمنزلية، وتطالب الأسرة بالاهتمام به. وهنا تبدأ المسيرة الشاقة والطريق الوعرة. ومما يزيد الأمر سوءًا وتعقيدًا أنه لا المدرسة ولا الأسرة قد تعرف سبباً واضحاً لعدم تقدم الطفل وضعف أداء الواجبات.

تتناول هذه المطوية لمحة عن بعض آثار صعوبات التعلم على الأسرة، فالوعي بتلك الآثار قد يكون سبباً في مواجهتها بفاعلية وتفاعل، مما يخفف من تأثيرها إن كانت قد حدثت أو يقي من وقوعها بإذن الله.

الأسرة والاكتشاف:

في غالب الأحيان لا تكتشف صعوبات التعلم إلا بعدما يتعثر الطفل في التعلم بعد دخوله المدرسة، علما بأن بداية المؤشرات قد تختلف من طفل إلى آخر لعوامل متعددة، من أهمها درجة الصعوبة. ولكن قد تظهر مؤشرات على بعض الأطفال قبل سن المدرسة. وعلى أي حال، فإن أكثر الأسر تمر بمراحل معينة عند شعورها بأن ابنها أو بنتها تختلف في بعض أنواع السلوك أو التصرفات عن ما هو متوقع أو مألوف، ويمكن تلخيص هذه المراحل فيما يلي:

- **الوعي بالمشكلة:** قد تلاحظ الأسرة في وقت مبكر أن هناك شيئاً غير طبيعي لدى طفلها، إما بمقارنته بمن هم في سنه من الأطفال الآخرين، أو بإخوانه عندما كانوا في سنه أو بتبصرهم في بعض أنواع السلوك التي يستغربون ظهورها عليه.
- **جمع المعلومات:** يبدأ الوالدان فور ملاحظة أي ظاهرة غير طبيعية لدى طفلهم في جمع معلومات عن الظواهر التي تبدو غير معتادة. وتتنوع أساليب الأسر في ذلك، فمنهم من يبدأ بطبيب الأطفال، بينما قد يفضل البعض الآخر استشارة صديق ونحو ذلك.
- **البحث الجاد عن تشخيص الظاهرة:** يقوم الوالدان - في العادة - في هذه المرحلة بجمع المعلومات من مصادر متنوعة، من أهمها الأطباء، وفي بعض الاحيان الاختصاصيين النفسيين.
- **الصدمة / عدم التصديق – والبحث عن بدائل:** عندما تصدر الجهة المستشارة حكمها بأن لدى الطفل صعوبات تعلم، يصاب كثير من الأسر بصدمة وعدم قدرة على تصديق النتائج، ولو كان المصدر موثوقاً، وهذا أمر طبيعي، فمثل ذلك مثل أي خبر لا نرغب سماعه. وقد تمتد هذه الحالة فترة طويلة لدى بعض الأسر، بينما قد تنتهي بعد بضعة أيام لدى أسر أخرى.
- **التقبل:** تصل الأسرة في هذه المرحلة إلى قناعة بوجود صعوبات التعلم لدى طفلها، وأنه يحتاج إلى خدمات فلا جدوى من التردد وتأجيل الخدمات، فتتجه نحو التفاعل الإيجابي مع المشكلة، وتبدأ في التواصل مع الجهة المعنية، والتي غالباً ما تكون المدرسة.

الأسرة بعد الاكتشاف:

لقد تبين من الدراسات المهتمة بأسر الأطفال الذين لديهم إعاقات أن وجود طفل لديه إعاقة كصعوبات التعلم، يؤثر بشكل كبير على جميع أفراد الأسرة، وليس على الوالدين فحسب، بل وقد يمتد التأثير إلى الأجداد. وأن هذا التأثير يطول الجوانب النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وأن هذه الجوانب تتفاعل مع بعضها البعض محدثة آثاراً جانبية تؤثر هي الأخرى على حياة الأسرة. وفيما يلي ملخص لتأثير الإعاقة على الأسرة.

• الجانب النفسي:

تتأثر الأسرة نفسياً بوجود صعوبات تعلم لدى أحد أطفالها، فقد تتحطم آمال بعض الأسر وخاصة الوالدين، على الأقل في المراحل الأولى من مسيرتها الجديدة. فالأسرة الآن تحتاج إلى إعادة تفكير في مستقبل ابنها الذي لديه إعاقة. فعندما كان الأمل في أن يكون طبيباً، وهذا قد لا يتحقق، فلا بد من إيجاد بديل - في نظر الأسرة. وربما يقود هذا الشعور إلى الإحباط والقلق، أو إلى الكآبة لدى أحد الوالدين أو كليهما. هذا، وقد اتضح من الدراسات أن الاحتراق النفسي من المظاهر الشائعة لدى أسر الأطفال الذين لديهم إعاقات بما فيها صعوبات التعلم، فقد تشعر الأسرة وخاصة الوالدين بالإرهاق النفسي وتفقد الرغبة في مواجهة المشكلات بشكل إيجابي. ويتبين من البحوث العلمية أن الضغوط النفسية التي قد يشعر بها الوالدين نتيجة وجود إعاقة لدى طفلهم تتغير مع مرور الوقت، وتختلف شدتها من أسرة لأخرى، كما تختلف الأسر في مواجهتها لتلك الضغوط. وخلاصة القول أن صحة الأسرة النفسية العامة تتأثر سلبياً من جراء الإعاقة التي لدى ابنهم أو ابنتهم.

• الجانب الاجتماعي:

يعتبر الجانب الاجتماعي واحداً من أهم مقومات الحياة الأسرية، فالتفاعل الاجتماعي بين أفراد الاسرة وبينها وبين المجتمع العام أمر ضروري للحياة المنتجة السعيدة، وبما أن الأسر تتفاوت في طبيعة وفاعلية حياتها الاجتماعية فقد تتفاوت اجتماعياً في تأثرها بوجود طفل لديه إعاقة. ولكن الإعاقة على وجه العموم قد تُحدث تغيرات كبيرة على الحياة الاجتماعية للأسرة. فبما أن فقد الأمل قد يكون سببا في الإحباط الذي هوً نواة الغضب واللوم، فقد تتحول الحالة عند بعض الأسر إلى دوامة من العتب المتبادل الذي يصرفها عن الموضوع الأساسي، والمهم وهو حاجة الطفل المعني إلى خدمات. كما أن العلاقات بين أفراد الأسرة قد تتوتر وخاصة بين الأب والأم من جانب، والوالدين وباقي أطفال العائلة من ناحية أخرى. فالوقت الذي كان من المفترض أن يوزع بين أفراد الأسرة أصبح يصرف الجزء الأكبر منه في تلبية احتياجات الطفل الذي لديه صعوبات تعلم، وخاصة من قبل من يقدم له مساعدة في الاستذكار وأداء الواجبات والذي في الغالب أنها الأم. فقد يرى بعض إخوانه وأخواته أنه يحضى بحنان أمه أو والديه أكثر منهم، وأن الجهد المبذول في مساعدته وكذلك المال - إذا كان يحتاج إلى مساعد خارجي مثل المدرس الخاص - يقلل من نصيبهم من ذلك الاهتمام. وهنا تأتي مسألة العدالة بين أفراد الأسرة في نظر بعضهم على الأقل، مما يزيد من اضطراب العلاقات الأسرية، وبالأخص عندما يرفع الوالدان من توقعاتهم من الأطفال الآخرين تعويضاً عن ما يعتقدون أنهم قد فقدوه في ظل مشكلة الطفل الذي لديه صعوبات تعلم.

كما أن من بين القضايا الأسرية الهامة والتي تتأثر بالإعاقة، الانتماء الأسري والشعور بالتكامل، وإدارة شؤون الأسرة بفاعلية. فقد يحس بعض أطفال العائلة بأنه محيد على حساب عناية الأسرة واهتمامها بالذي لديه صعوبات تعلم. ويحدث هذا خاصة بين الأطفال الصغار الذين قد لا يستوعبون مشكلة أخيهم أو أختهم، سيما وأنهم لا يرون أعراضاً بدنية تشير إلى وجود مشكلة. أما على صعيد الوالدين فقد لا يستطيع أحدهما أو كلاهما تحمل ومواجهة الضغوط النفسية الاجتماعية، وقد يشعر أحدهما ولا سيما الأم بالذنب والتقصير في حق الآخر مما قد يكون سببا في الانفصال أو الطلاق.

وفيما يتعلق بالوسط المجتمعي كالأقارب، فقد تواجه الأسرة حرجًا أثناء زيارات الأقارب الذين يتفاخرون عادة بإنجازات أبنائهم وتحصيلهم الدراسي المرتفع، فالمقارنات بين أطفال الأسر من أكثر مصادر قلق الأسرة التي لديها طفل عنده صعوبات تعلم، مما يجعل بعض الأسر يفضل الانسحاب من المناسبات الأسرية أو التقليل منها. كما أن الطفل نفسه قد يواجه انتقادات وأسئلة محرجة من بعض أقاربه أو أقرانه من أبناء عمومته مما يؤدي به إلى محاولة تجنب التحدث معهم أو زيارتهم.

- **الجانب الاقتصادي:**

إن الظروف غير المتوقعة تضيف إلى أعباء الأسرة المالية، فقد تسعى بعض الأسر إلى البحث عن رأي آخر حول مشكلة ابنها فتبذل النفيس من أجل الغالي وهو ابنها، إلى درجة أن من الأسر من يسافر إلى دول أخرى عربية أوأجنبية، أملاً في أن تجد مَن يؤكد لها نتائج التشخيص المحلي، أو ينفيه تماماً. وهذا دون شك أمر مكلف مادياً. أما إذا كانت الأسرة قد اقتنعت بأن لدى ابنها صعوبات تعلم، فربما تحتاج إلى أن توفر له مساندة إضافية باستئجار معلم متخصص يساعده أثناء الاستذكار وأداء الواجبات وهذ مكلف أيضا، وفي الغالب أن يستمر هذا الحال طوال مسيرة الطفل الدراسية.

الختام:

ليس بوسع هذه المنشورة استعراض استراتيجيات التعايش الأسري عند وجود طفل لديه صعوبات تعلمٍ في العائلة، ولكن تحسن الإشارة إلى أن وجود طفل لديه صعوبات تعلم في الأسرة لا يكون دائماً مصدر قلق وضغوط نفسية، بل قد تكون إعاقة الطفل سبباً في تماسك الأسرة وتعاونها وتكاتفها. كما أنها قد تكون مصدراً لتوسيع نطاق وعي الأسرة وتفهمها لما لدى الآخرين من مشكلات، ومعرفة الأسرة ذاتها بما لديها من جوانب قوة مثل الصبر والحلم والرضا بالقضاء والقدر. فالصبر على المصائب من عزم الأمور كما أخبرنا الله بذلك في محكم كتابه، وجزاء الرضا على المصائب رضا الله عز وجل على عبده، فأمر المؤمن كله له خير.